تمردات الانكشارية في الدولة العثمانية ١٤٨١-١٦٤٨م

م.م عماد عبد العزيز يوسف
كلية التربية الأساسية-جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٠٩/٣/٢٥ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠٠٩/٦/٣

ملخص البحث :

تعد الانكشارية قوة عسكرية فاعلة في الدولة العثمانية ، ونظرا لاهمية دورها ، فإن البحث تضمن تمردات الانكشارية في السنوات (١٤٨١–١٦٤٨م) . وقد انبثقت تمردات الانكشارية نتيجة الضعف في الاداء السياسي لبعض السلاطين العثمانيين ، مما هيأ الفرص المناسبة لوقوع تلك التمردات ، والتي اثرت بشكل واضح في جميع مفاصل الدولة العثمانية ، السياسة والعسكرية والاجتماعية ، مما جعل من الانكشارية ظاهرة تركت اثارها على مكانة الدولة العثمانية آنذاك .

The Janissary Insurgences in the Ottoman State (1481-1648)

Asst. Lect. Emad Abduazez Yousef
College of Basic Education - University of Mosul

Abstract:

Janissary is an active military force in the Ottoman State. Due to its importance, this study examines the Janissaires insurgences within the period (1481–1648). Such insurgences arise from the weakness of political performance of some Ottoman sultans, providing the chance for such insurgences to affect the Ottoman State, in the political, military and social aspects. This is why Janissaires is a phenomena affecting the Ottoman State, at that time.

المقدمة:

تعد دراسة تمردات الانكشارية في الدولة العثمانية في غضون الاعوام (١٤٨١-١٦٤٨م) على جانب كبير من الاهمية التاريخية ، وتكمن أهميتها في معرفة مدى تأثير تلك التمردات على سياسة الدولة العثمانية عندما كانت في اوج قوتها .

إن قوة الانكشارية إبان تلك الفترة عسكريا جعلت منهم عماد الجيش العثماني ، إلا أنهم لم يقتصروا على دورهم العسكري ، اذ تدخلوا في سياسة الدولة العثمانية من خلال تمرداتهم ، مرتكزين في ذلك على ادوارهم العسكرية الممتدة تاريخيا منذ بداية القرن الرابع عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر للميلاد . فكان لابد من دراسة تتابعية لتمرداتهم بوصفها ظاهرة مؤثرة في الدولة العثمانية .

والجدير بالذكر أن التمردات الانكشارية لم تتوقف بعد مقتل السلطان ابراهيم الأول ١٦٤٨م وإنما استمرت الى عام ١٨٢٦ وهذا ما يتطلب معالجته في بحث آخر إن شاء الله .

تمهيد:

يعد البحث محاولة علمية لوضع مرتسم تاريخي لتمردات الانكشارية في الدولة العثمانية. وتكمن اهمية تلك التمردات في كونها صادرة من جهة رسمية (الجيش الانكشاري). وانها كانت في فترة من الفترات تمثل احدى مراكز القوى في الدولة ولها نفوذ واسع وخطير في دوائر الحكومة ولها دورها في توجيه شؤون الدولة سواء في السياسة الداخلية او الخارجية ، ولذلك كان لتمرداتهم تأثيره الواضح في شؤون الدولة .

وتكمن اهمية هذه الفترة (١٤٨١-١٦٤٨م) انها تمثل فترة قوة الدولة العثمانية (عام ١٤٨١ يمثل اول تمرد للانكشارية وصولا الى عام ١٦٤٨ مقتل السلطان ابراهيم على يد الانكشارية) .

ولابد من الاشارة الى ان بدايات ظهور الانكشارية تعود الى فترات سابقة ، اذ كان البداية في عهد السلطان اورخان بن عثمان (١٣٢٦-١٣٥٩م) إذ حبب وزير السلطان (هابيل الاسود) فكرة ضريبة الغلمان النصارى الأرثوذوكس ، ونقصد بها ضريبة ادمية فرضتها الدولة على ابناء الرعايا النصارى الذين يعتنقون مذهب الكنيسة الارثوذكسية ، وتحويل هؤلاء الاطفال الى مسلمين ، وتجرى لهم جراحة الختان وتنظم لهم دراسات دينية وعلمية ومدنية وعسكرية ليتخذ منهم في نهاية المطاف قوة اسلامية للحكم والحرب في خدمة الدولة على حد سواء . ويطلق على هذه الضريبة مصطلح دوشرمة او دفشرمة (ضريبة الدم)[١] .

والدوشرمة تسمية اختلف المؤرخون في نشأتها إذ يذكر زياد أبو غنيمة في كتابه جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين والأتراك إن الدوشرمة كلمة تركية تعني الاسقاط او السقوط وتطلق

عادة على الذين تلدهم امهاتهم سرا ثم يقذفون في الطرقات او على ابواب الملاجئ ثم انسحبت هذه الكلمة على كل طفل لقيط او مشرد لاي سبب من الاسباب(٢) ، أما ايرينا بيتروسيان ذكرت في كتابها الانكشاريون في الامبراطورية العثمانية إنه عندما سمح لأبناء الفلاحين الذين تبدو عليهم ملامح الرجولة باللحاق بجيش المشاة وبعد اعتناقهم الإسلام شكلوا منهم فيلق المشاة الذي كان يشارك في الاستيلاء على القلاع . وخلال سنوات جند منهم حوالي ١٠٠٠ شخص وخصصت لهم اجور ثابتة ثم يذكر أن الجيش أصبح يتألف من الشباب النصارى الأسرى الذين كانوا يخدمون خدمة تمهيدية قبل التحاقهم بالجيش الانكشاري(٣) . أما عبد العزيز الشناوي في كتابه الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها في جزئه الأول يذكر بصدد الانكشارية إن ضريبة الدم هي ضريبة أدمية كانت عوناً كبيراً للدولة الناشئة على إيجاد مورد أدمي لا ينضب ومساعدة لتجنيد فرق عسكرية كاملة من المشاة يضعون عقولهم وأجسامهم وخبراتهم في خدمة السلطان في ميادين القتال ابتغاء إحراز انتصارات عسكرية تحقق بها الدولة مزيداً من التوسع الإقليمي . وكان معظم هؤلاء المشاة ينخرطون في سلك الانكشارية . ويذكر الشناوي إن فيالق الانكشارية لم تكن جميعها من حصيلة ضريبة الدم بل تضم في صفوفها مجموعات صغيرة العدد من أولاد أسروا في الحرب او اشتروا بالمال(٤) .

وكانت الدولة تقسمهم الى ثلاثة اقسام ، القسم الأول يعد افرادها للعمل في القصور السلطانية ، ويسمون (ايج اوغلان) غلمان البلاد والثاني ، للعمل في الوظائف المدنية الكبرى في الدولة . اما القسم الثالث ، فيشكل أفرادها فرق مشاة في الجيش العثماني ، ويطلق على أفراده بالانكشارية ومعناها الجنود الجدد (ينكي جرى) أي الجندي الجديد وكانوا يشكلون النسبة الاعلى قياسا للقسمين السابقين من حيث العدد(٥) .

ويذكر ان السلطان اورخان قد وضع قانونا خاصا بالانكشارية تضمن اقرار نظام داخلي خاص لهم ، وتنظيم علاقتهم البينية ، والطاعة المطلقة للسلطان .

تمردات الانكشارية في الدولة العثمانية ١٤٨١-١٦٤٨م

التمردات في عهد السلطان بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٢م)

حدث اول تمرد للانكشارية في الدولة العثمانية في عهد السلطان بايزيد الثاني ومفاد التمرد انه عندما توفى السلطان محمد الثاني (الفاتح) (١٤٤٤-١٤٤٦م/١٤٥١-١٤٨١م)(٦) كان لديه ولدان هما بايزيد وهو الاكبر وكان حاكما لمنطقة اماسيا اما الثاني فكان جم حاكم قرمان(٧) . وحدث ان اخبر الصدر الاعظم قرماني محمد باشا بايزيد بخبر وفاة والده ليسرع في العودة لكي يتسلم عرش السلطنة . وفي الوقت نفسه أرسل الصدر الاعظم خبر الوفاة سرا للامير جم . فحدث ان تسابق الاثنان في السفر الى العاصمة لتولي مهام السلطنة وسبب ما قام به

الصدر الأعظم محمد باشا إنه كان نصيراً سرياً لإبن محمد الفاتح الصغير (جم) فبفذ ظاهرياً العملية التقليدية لتوريث العرش فأرسل لبايزيد ثم حاول أن يبلغ نفس الخبر لجم أملاً بحضوره السريع الى اسطنبول فعلم الانكشارية بتصرف الصدر الاعظم فثاروا عليه وقتلوه وعينوا مكانه اسحق باشا(٨) . وتمردوا في استانبول وعاثوا في البلاد سلبا ونهبا وجاءوا بالامير قرقد (قورقود) بن بايزيد لتولي مهام الدولة لحين وصول ابيه من اماسيا(٩) .

وصل بايزيد الثاني استانبول في الثاني والعشرين من شهر ايار عام ١٤٨١ عن طريق البسفور حيث استقبله كبار رجال الدولة ورأى ان سفن الانكشارية قد احاطت الطريق للترحيب به . والحقيقة ان الانكشارية قاموا بهذا العمل لكي يبينوا للأمير بايزيد الثاني انه جاء الى كرسي السلطنة بمساعدتهم(١٠) وعندما دخل السلطان بايزيد الثاني القصر السلطاني راى ان قوات الانكشارية قد انتشروا حول القصر ومداخله ينتظرون السلطان الجديد ومعهم مطاليب يريدون ان ينفذها لهم وعلى الفور اولها عزل مصطفى باشا من منصبهِ كوزير لأنه أحد مقربي السلطان بايزيد (شيخزاده بايزيد) لأنه من المحتمل أن يصبح الصدر الأعظم ولن يرفع أجور الانكشارية وتعيين اسحق باشا بدلا عنه لانه متعاطف مع الانكشارية وسيرفع أجورهم . وثانيا ان يقدم السلطان عطايا لهم بمناسبة توليه السلطنة(١١) . واخيرا ان يصدر امرا بالعفو عن الانكشارية نتيجة لما ارتكبوه من فظائع في المدينة . وقد استجاب السلطان لجميع مطاليب الانكشارية(١٢) .

تمادى الانكشارية على السلطان بعد ثلاثة اشهر من توليه منصبه إذ طلبوا منه ان يسمح لهم بنهب مدينة بورصة عقابا لسكانها بحجة انهم تعاونوا مع الامير جم وإيوائه عندهم ، فما كان من السلطان الا ان رفض طلبهم . لمنع حدوث شغب بالمدينة اجزل السلطان العطايا للانكشارية للمرة الثانية وهو في بداية حكمه . كما أجبروه على فتح محلات بيع الخمور لكي يتناولوا فيه المسكرات(١٣) . ومن هنا نرى ان التمرد الاول للانكشارية قد سبب ضررا اقتصاديا للدولة وذلك لصرف الكثير من الاموال لهم واجتماعياً لأنهم أحدثوا خرابا كبيرا بالمدينة كما أسهموا في فتح محلات الخمور في المدينة علناً وهذا ما يخالف الشريعة الإسلامية .

اما التمرد الثاني للانكشارية فقد حدث ايضا في عهد السلطان بايزيد الثاني ، والمفارقة ان التمرد الاول كان لتعيين السلطان بايزيد الثاني اما التمرد (الثاني) فكان لعزله وسبب هذا التمرد ان السلطان كان له من الاولاد ثمانية توفى منهم خمسة في حياته وبقي ثلاثة وهم الامير احمد والامير (قورقود) والامير سليم . وكان احمد اكبرهم واحبهم واقربهم لأبيه ومحببا لدى الاعيان والامراء لذلك عينه والده وليا للعهد وحاكما على منطقة اماسيا . وكان قرقود حاكما على صاروخان (مانيسة) وكان محبا للعلوم ومجالسة العلماء . وسليم حاكما على طرابزون . وكان سليم مشهورا بالقوة وحبه للقتال وله منزلة كبيرة لدى قوات الانكشارية في الوقت نفسه كان والده

بايزيد الثاني يحب السلم اكثر مما يحب الحرب لذلك كان الانكشارية يبتعدون عن بايزيد الثاني لسياسته السلمية[١٤] .

وحدث خلاف بين بايزيد الثاني وابنه سليم نتيجة طلب الاخير نقله من طرابزون الى منطقة اخرى بحجة أنها منطقة نائية وبعيدة عن المركز وعندما رفض والده طلبه جهز بعض رجاله وتوجه الى ادرنة ليتباحث مع والده الذي كان يقيم هناك لفترة من الزمن إلا انه عندما وصل الى ادرنة كان والده قد غادر الى استانبول بعد سماع خبر وفاة ابنه شاهنشاه . فاشتد عليه المرض عند ذلك ارسل الى ابنه احمد للقدوم الى استانبول ليكون بالقرب منه لانه ولي العهد الا ان الانكشارية سيطروا على مداخل استانبول ومنعوا دخول الامير احمد الى استانبول واجبروه على العودة الى اماسيا[١٥] وفي هذا الوقت تدخل الانكشارية بالامر واجبروا السلطان بايزيد الثاني على إصدار مرسوم أوهمايون بالعفو عن الامير سليم واعاته الى ولاية سمندرية ، العاصمة القديمة لبلاده الصرب[١٦] ، واثناء سفر سليم اليها قابله الانكشارية وعادوا به الى استانبول فدخلها سليم وسط حشود من الانكشارية عند ذلك عرض السلطان بايزيد على ابنه سليم أموالاً كأغراء له بالعودة الى سمندرية إلا ان سليم رفض خاصة وان الانكشارية بجانبه حتى اضطر السلطان بايزيد الثاني ان يعرض على ابنه سليماً ان يكون وليا للعهد مع بقاء والده حاكماً للدولة حتى وفاته[١٧] لكن الانكشارية وسليم رفضوا الامر واصروا على اخذ السلطنة من بايزيد الثاني فتوجهت في الخامس والعشرين من شهر نيسان عام ١٥١٢ قوات عسكرية ضمت الانكشارية والسباهية –الفرسان الاقطاعيين– حتى بلغ عددهم اثني عشر الف جندي نحو قصر السلطان بايزيد الثاني وطلب كبار الضباط مقابلة السلطان فأذن لهم السلطان فقالوا لهُ انك طاعن في السن ومريض وعليك ان تتنازل عن العرش لولدك سليم[١٨] ، وبعد ان وجد السلطان بايزيد الثاني جدية طلب الانكشارية تنازل عن العرش لولده سليم وبعد عشرين يوما ارسل الى ابنه سليم يطلب منه ان يأذن له في مغادرة استانبول ويذهب الى ديموتيقا[١٩] ليقضي بقية حياته هناك فخرج معه ابنه سليم حتى أسوار استانبول[٢٠] وكان السلطان بايزيد مريضا لذا تأخر في الطريق بسبب الصعوبة التي يعانيها في ركوب الخيل وحيث كان ينقل على المحفة وبعد مضي شهر في الطريق توفي السلطان بايزيد الثاني في السادس والعشرين من شهر ايار عام ١٥١٢م ، فنقل جثمانه الى استانبول ودفن في الجامع الذي شيده والذي يحمل اسمه[٢١] . ومن هنا نرى ان الانكشارية كانوا وراء عزل السلطان بايزيد الثاني ووفاته بسبب كرههم لسياسته السلمية ، وفي الوقت نفسه كانوا وراء تنصيب الأمير سليم بن بايزيد الذي كان معروفا بشدته وحبه للحروب سلطانا للدولة العثمانية .

التمردات في عهد السلطان سليم الاول (١٥١٢-١٥٢٠م) :

كان من المشاكل التي واجهها السلطان سليم الأول في مستهل حكمه تمرد الانكشارية ضده وهم الذين جاءوا به إلى الحكم وقد جعلهم السلطان سليم الأول ركيزة لحكمه فزاد أعدادهم الى ٣٥٠٠٠ وزاد رواتبهم[٢٢] وسبب التمرد ان السلطان سليم عندما خرج مودعا والده بايزيد الثاني الذي اراد الذهاب الى ديموتيقا وعند عودته جاءته الأنباء التي تفيد بأن الانكشارية قد تجمعوا في طريقه المؤدي للقصر يطالبونه ببعض الاموال[٢٣] . إلا أن السلطان سليم الأول غير طريقه ومع ذلك بعد عودته ودخوله القصر جاء كبار قادة الانكشارية وطالبوه ببعض الأموال للإنكشارية فوافق على ذلك تحاشيا لمشاكلهم[٢٤] فدفع لكل انكشاري كان قد شارك في التجمع خمسين دوكا (دوكة)[٢٥] كما وتمادى احد الانكشارية وطالب السلطان بزيادة رواتبهم عند ذلك استاء السلطان ورفع سيفه وقطع رأس ذلك الانكشاري لتماديه في الطلبات[٢٦] .

اما التمرد الثاني للأنكشارية في عهد السلطان سليم فقد حدث اثناء الحرب العثمانية الصفوية عام ١٥١٤ في معركة جالديران والتي انتصرت فيها القوات العثمانية على القوات الصفوية التي كانت بقيادة الشاه اسماعيل الصفوي (١٥٠١-١٥٢٤م) وأراد السلطان سليم الاول بعد هذا الانتصار عدم التوقف واللحاق بالشاه اسماعيل الصفوي الا انه تراجع لقلة المؤونة التي لا تكفي أفراد الجيش[٢٧] . والسبب الاخر في عودة السلطان سليم الاول ان الانكشارية امتنعوا عن التقدم نتيجة اشتداد البرد وعدم وجود الملابس الشتوية لذلك طلبوا من السلطان سليم الاول العودة الى مدينة اماسيا ثم الرجوع صيفا الى مقاتلة الصفويين[٢٨] . وقد اضطر السلطان سليم لتلبية طلبهم ظنا منه ان لم يوافق فإنه ربما سيقومون بتمرد داخل العاصمة او في طريق العودة مما يؤثر على سلطنته خاصة وهو بعيد عن المركز وربما يستغل الشاه اسماعيل الصفوي الموقف ويعود مع جيشهِ للانقضاض على الجيش العثماني[٢٩].

تمردات الانكشارية في عهد السلطان سليمان القانوني(١٥٢٠-١٥٦٦م)

بعد وفاة السلطان سليم تولى السلطنة السلطان سليمان المعروف بالقانوني وبعد خمس سنوات من توليه قام الانشكاريون بتمردهم الوحيد في عهد السلطان سليمان القانوني وتحديدا في الخامس والعشرين من آذار عام ١٥٢٥ عندما عاد السلطان سليمان القانوني من منطقة ادرنة الى استانبول بعد قضائه فصل الشتاء هناك اذ قام الانكشاريون بنهب سراي (قصر) الصدر الاعظم ابراهيم باشا حين كان الاخير في مصر[٣٠] ، كما هاجم الانكشارية ديوان الجمارك وبعض الاسواق والمحلات ومنها محلة اليهود . وكان همهم جمع الاموال سواء من مصادر حكومية او اهلية واسلامية (حلال) او غير اسلامية (حرام)[٣١] . ولتدارك الوضع ارسل السلطان سليمان القانوني الف دوكا للأنكشارية لانهاء التمرد مع اعطاء دفعات اخرى لهم في المستقبل وكان نتيجتها أن أخلدوا للهدوء وانهوا التمرد[٣٢] ، وقد استجاب الانكشارية للأمر واخذوا الدفعة

الاولى (الف دوكا) وتقاسموه طمعا بأموال اخرى ، الا ان السلطان سليمان القانوني كان ذكيا اذ استطاع ان يبعد بعض رؤساء الانكشارية الى بعض المناطق البعيدة ليخدموا هناك ويدافعوا عن الدولة ضد العدو الخارجي كما قتل وسجن بعض زعماء التمرد وبذلك استطاع تشتيت شملهم وانهاء الفتنة[٣٣] .

تمردات الانكشارية في عهد السلطان سليم الثاني (١٥٦٦-١٥٧٤م)

واجه السلطان سليم الثاني في بداية حياته السياسية كسلطان للدولة العثمانية بعد وفاة والده سليمان القانوني قضية تمرد الانكشارية الذين لم يكتفوا بما اعطاهم من عطايا وانما اعلنوا العصيان والتمرد واعترضوا طريق السلطان وهو في طريقه الى القصر حيث اوقفوا عربة محملة بالتبن امام عربة السلطان لايقافه ومطالبته بأموال اضافية بمناسبة اعتلائه السلطنة ، وتمركزوا قرب القصر السلطاني (توب قابي) واغلقوا الابواب واوقفوا بقربها الصدر الاعظم محمد باشا صوقللي وارغموه على الذهاب الى السلطان وابلاغه ان المتمردين لن يهدأوا الا اذا وعدهم بدفع المال لهم ، ادرك السلطان سليم الثاني خطورة الموقف الذي تشكل مما اضطر الى ان يجزل لهم العطايا وذلك حفاظا على المدينة من الفوضى والمشاكل[٣٤].

تمردات الانكشارية في عهد مراد الثالث (١٥٧٤-١٥٩٥م)

حدث في عهد السلطان مراد الثالث تمردان من قبل الانكشارية إذ كان الأول في مستهل حكم السلطان حين أمر السلطان بمنع شرب الخمر فثار الانكشارية عليه وأجبروهُ على اباحته بمقدار لا يؤدي الى ذهول العقل وتكدير الراحة[٣٥] .

ونرى ان السلطان مراد الثالث ربما قد وافق على طلب الانكشارية خوفا من ان يقوموا بعزله وهو حديث العهد في تولي السلطنة ولكيلا تحدث مشاكل تؤثر على سياسة الدولة، اما التمرد الثاني فكان بسبب امور اقتصادية ومفاد التمرد ان الانكشارية ارادوا أن يتخلصوا من الباش دفتردار وهو المسؤول عن اموال الدولة . ومن رئيس بكوات الصناجق محمد باشا بكربك الروملي والذي كان يشمل نفوذه الولايات العثمانية الاوربية[٣٦] .

والسبب الذي تذرع به الانكشارية للتخلص من هذين الشخصين وطلبوا من السلطان مراد الثالث ان يسلمهما لهم . أن هذين الشخصين هما المسؤولان عن انقاص وزن النقود الفضية التي كانت للانكشارية[٣٧] . وقد استطاع قوات الانكشارية بتمردهم ان يحاصروا منزلي الشخصين ودخلوا الى بيوتهم وقتلوهما دون الاستماع الى اوامر السلطان وفي الوقت نفسه لم يستطع السلطان مراد الثالث ان يحرك ساكنا او يتخذ اجراءً بشأن ذلك التمرد[٣٨] ، والجدير بالذكر ان سبب انقاص وزن العملة الفضية كانت تنفيذا لسياسة الدولة آنذاك إذ لجأت السلطة المركزية في

استانبول الى هذا الاجراء وذلك لمواجهة الزيادة الحاصلة في الانفاق العسكري نتيجة لزيادة اعداد الجيش الانكشاري حيث في ذلك الوقت سمح السلطان مراد الثالث للمسلمين بالالتحاق بالجيش الانكشاري فازداد عددهم[٣٩] .

تمردات الانكشارية في عهد السلطان عثمان الثاني (١٦١٨-١٦٢٢م)

حدث تمرد الانكشارية في عهد السلطان عثمان الثاني خلال الفترة ١٦١٩-١٦٢٠ وكانت الدولة خلال هذه الفترة في حرب ضد بولندا فتمرد الانكشارية وطلبوا من السلطان ان يوقف الحرب[٤٠] ، وكان هذا العمل يتعارض مع تقاليد الانكشارية التي كان شغلها الشاغل هو الحرب ، والحقيقة ان الانكشارية طلبوا هذا الطلب لكي يشعروا السلطان بأنهم اقوياء ويتحكمون بأمور الدولة خاصة وان السلطان كان صغير السن إذ كان في الرابعة عشر من العمر حتى انه كان يسمى بعثمان كنج (عثمان الشاب)[٤١] ، وقد وافق السلطان على وقف الحرب تنفيذا لرغبة الانكشارية وهو غير راض في قرارة نفسه على هذا العمل خاصة وانه لم يحقق هدفهُ في الانتصار على البولنديين[٤٢] ، لذلك عمل عن تصفية الانكشارية وذلك بالعمل على تجهيز وتنظيم جيش جديد في ولايات آسيا[٤٣] وعندما علم الانكشارية بمشروع السلطان عثمان الثاني عملوا على عزله[٤٤] .

والجدير بالذكر ان الانكشارية تشجعوا على عزل وقتل (خنق) السلطان بعدما تعاونوا مع شيخ الاسلام محمد اسعد افندي الذي تولى المشيخة من عام ١٦١٥ الى ١٦٢٢ ثم عزل وعاد عام ١٦٢٣ وحتى ١٦٢٥م إذ تمثل دور شيخ الاسلام بأن اصدر فتوى قال فيها ((لا لزوم لحج البادشاهات – السلاطين – البقاء في مكانهم والعدل اولى لهم ، حتى لاتكون هناك فتنة)) وقد أصدر شيخ الاسلام هذه الفتوى بعدما سمع باستعداد السلطان للذهاب الى الحج الا ان السلطان لم يلتفت لكلام شيخ الاسلام مما جعل الاخير يثير الانكشارية عليه ، فأتخذ الانكشارية من فتوى شيخ الاسلام ذريعة للتخلص من السلطان[٤٥] فهجموا على قصر السلطان وأخذوه الى ثكناتهم ثم ذهبوا به الى قلعة الابراج السبعة ، حيث ازهقت روحه هناك على يد الانكشارية[٤٦] وقد سميت هذه الحادثة في التاريخ العثماني بالهائلة العثمانية الكبرى[٤٧] .

تمردات الانكشارية في عهد السلطان مراد الرابع (١٦٢٣-١٦٤٠م)

بعد مقتل السلطان عثمان الثاني على يد الانكشارية انتشرت الرهبة في مؤسسات الدولة وعلت سطوة الانكشارية واخذوا يولون الوزراء ويعزلونهم ، حتى انهم بعدما اجلسوا السلطان مصطفى الاول على عرش الدولة العثمانية بعد السلطان عثمان الثاني للمرة الثانية عادوا بعد فترة وجيزة وعزلوه وولوا مكانه السلطان مراد الرابع[٤٨] . كانت الدولة العثمانية تعاني من الفوضى السياسية والمالية حيث ان معظم الأناضول والروميللي قد وقع في أيدي المتمردين الذين عرفوا باسم الجلاليين أو الأشكية . وبعد فترة انضم الانكشارية الى هذه الحركة في وقت كان فيه الانكشاريون المستقرون في بعض المدن قد سيطروا عليها يرهبون الناس ويستغلونهم . وقد أدت هذه الفوضى الى انتهاز بعض القوى المجاورة الوضع ومنهم الصفويين حيث استغل الشاه عباس الأول (١٥٨٧–١٦٢٨م) أعمال التمرد في الأناضول وتمرد انكشارية بغداد فتقدم بجيشه وسيطر على بغداد .

ارتبط تمرد الانكشارية في عهد السلطان مراد الرابع بالصراعات مابين الصدور العظام . عندما قتل الصدر الاعظم حسن باشا على يد الانكشارية عمل السلطان على عزل الصدر الأعظم خسرو باشا الذي كان متعاونا مع الانكشارية وتنصيب حافظ باشا للصدارة العظمى وبعدما نجح السلطان في مسعاه[٤٩] اخذ خسرو باشا يدبر المكائد ضد السلطان واتصل برؤساء الانكشارية حيث اخبرهم ان السلطان عزله لانه متعاطف ومتعاون مع الانكشارية ، فهاج الانكشارية ودخلوا سراي السلطان وقتلوا حافظ باشا في التاسع من شباط عام ١٦٣٢م ولم يرتدعوا لتدخل السلطان[٥٠] ولان السلطان لم ينجح في حماية حافظ باشا وكرد فعل ضد الانكشارية امر بقتل خسروا باشا على اساس انه محرك الفتنة ، عند ذلك طلب الانكشارية من السلطان ان يعين رجب باشا صدراً أعظم ، وقد كان السلطان مراد الرابع يسمي رجب باشا برئيس الاشقياء لذلك رفض طلبهم ، واصدر فرمانا بتعين بيرام محمد باشا صدرا اعظم[٥١] ، كما واصر السلطان على تصفية وابادة الانكشارية وامر بقتل رؤساء الانكشارية الذين شاركوا في الفتنة . ثم امر بقتل كل من له علاقة بالفتنة حتى وإن كانت علاقة جانبية لذلك استكان الانكشارية ولجأوا الى الحيلة وتظاهروا للسلطان بأنهم ملتزمون بقوانين الانضباط العسكري وانهم يطيعون السلطان وارادوا من هذا التظاهر التمويه لانهم كانوا يبيتون امرا ضد السلطان، فبعد شهرين قام الانكشارية بتمرد جديد بقيادة رجب باشا حيث اراد اخذ الصدارة العظمى بالقوة فقام بفتنة كبيرة وتوجه نحو السراي ودخل الى السراي وأتباعه ينتظرونه في الخارج فأمر السلطان بأن يلقوا رجب باشا من شباك السراي ، فتفرق أتباعه وكسرت بذلك شوكة الانكشارية ، وبعد هذا الانكسار الذي شهدته قوات الانكشارية لم يتمردوا طيلة السنوات الاخيرة من حكم السلطان مراد الرابع حتى عام ١٦٤٠م[٥٢] .

تمردات الانكشارية في عهد السلطان ابراهيم الاول (١٦٤٠-١٦٤٨م)

بعد وفاة السلطان مراد الرابع تولى أخوهُ ابراهيم سلطنة الدولة وعاد الانكشارية الى التمرد وإثارة المشكلات ، وجاءت الفرصة عندما حدثت مشاكل واضطرابات في العاصمة العثمانية ضد السلطان ابراهيم الاول والتي عرفت (بثورة الاغوات) وقد حدثت هذه الثورة عام ١٦٤٨ ومفاد هذا التمرد ان الكثير من اغوات العسكر قاموا بأعمال نهب وسرقة أموال الدولة وعندما اراد السلطان ابراهيم ايقافهم ومعاقبتهم تجمعوا على شكل عصبة وعملوا على خلعه وقد وقف شيخ الاسلام عبد الرحيم افندي الى جانب الاغوات وتمكنوا في الثامن من آب عام ١٦٤٨ من خلع السلطان وزجه في السجن[٥٣] .

وبعد زج السلطان في السجن تخوف الصدر الاعظم صوفي محمد باشا وشيخ الاسلام وقادة الانكشارية من عودة السلطان ابراهيم الى العرش خاصة وان السباهية لم يرضوا بالسطان الجديد (محمد الرابع) لصغر سنه[٥٤] ، لذلك قرر شيخ الاسلام والصدر الاعظم والانكشارية اعدام السلطان المخلوع ابراهيم الاول وكان هذا الامر يحتاج الى سبب وفتوى لذلك افتى شيخ الاسلام بإعدامه بعد ان سأله ((الا يحق شرعا عزل وقتل السلطان الذي اعطى مراكز العلماء للذين لايستحقونها واخذوها بالرشوة من الذين يستحقونها وكان الجواب نعم)) ، وبذلك استطاع شيخ الاسلام ان يصدر فتوى بإعدامه وذلك عام ١٦٤٨م[٥٥] .

ولم تتوقف تمردات الانكشارية بعد مقتل السلطان إبراهيم الأول وهو ما يتطلب معالجته في بحث آخر إن شاء الله .

الخاتمة

يتضح من خلال استقراء ادوار الانكشارية في الدولة العثمانية ما يأتي :

١. شكل الانكشارية في بداية تكوينهم قوة عسكرية ادت ادوارا ايجابية في الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية ، وعلى وجه الخصوص في الجبهة الاوربية

٢. بدأ الانكشارية منذ القرن السادس عشر بالتدخل في الشؤون السياسية للدولة العثمانية ، ونجم عن ذلك ، اضطراب في سياسة الدولة في المستويين الداخلي والخارجي ، فعلى المستوى الداخلي ، استهدفت تمرداتهم السلطنة العثمانية ، وذلك من خلال اكراه السلاطين على اغداق الاموال عليهم ، وفي حالات رفض السلطان ، فإنهم لم يترددوا في قتله .

٣. سعى الانكشارية الى التدخل في تنصيب الشخصيات التي تؤدي لهم الخدمات وتنفيذ مطاليبهم، ولعل من ابرزها منصب (الصدارة العظمى) والتي استنفذوها لتحقيق مقاصدهم.

٤. بقدر ما كانت الانكشارية قوة ايجابية في الفتوحات العثمانية في الجبهة الاوربية ، فانهم أصبحوا سببا في إضعاف الدولة العثمانية من خلال قراراتهم القاطعة في ايقاف الحروب، واجبار السلطان العثماني على عقد معاهدات مع الدول الاخرى ، والتهديد بالتمرد ان لم تنفذ رغباتهم .

٥. ادرك بعض السلاطين مديات تأثير الانكشارية ، فآثروا في بعض الاحيان الاستجابة لمطاليبهم ، ويبدو ان ذلك لا يعد ضعفا في شخص السلطان ، بقدر حرص السلطنة العثمانية على اشاعة الامن والاستقرار وخصوصا في العاصمة العثمانية استانبول .

هوامش البحث :

(١) عبد العزيز محمد الشناوي ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، ج١ ، (القاهرة : ١٩٧٨) ، ص٤٧٤.

(٢) زياد أبو غنيمة ، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، (عمان : ١٩٨٣) ، ص ص١٢٢-١٢٦ .

(٣) ايرينا بتروسيان ، الانكشاريون في الامبراطورية العثمانية ، تقديم ومراجعة قسم الدراسات والنشر – مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، (دبي : ٢٠٠٦) ، ص ص١٦-١٧ .

(٤) الشناوي ، المصدر السابق ، ص٤٧٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٤٧٣ .

(٦) ذكرنا تاريخين لفترة سلطنة السلطان محمد الفاتح ذلك لأنه في سنة ١٤٤٤م استلم الحكم عندما اعتزل والدهُ السلطنة والناس نتيجة هزيمتهِ أمام المجر ووفاة ولدهِ علاء الدين . فتولى محمد الفاتح الحكم حتى عام ١٤٤٦م حيث عاد والده مراد الثاني الى السلطنة ، وبعد وفاة مراد الثاني عام ١٤٥١ تولى محمد الفاتح للمرة الثانية سلطنة الدولة العثمانية . ينظر شكيب ارسلان ، تاريخ الدولة العثمانية ، تحقيق : حسن السماحي سويدان ، (دمشق – بيروت ، ٢٠٠١) ، ص٧٨ .

(٧) محمد سهيل طقوش ، العثمانيون من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة ، (بيروت : ١٩٩٥) ، ص١٢٠ ؛ سيار كوكب علي الجميل ، تكوين العرب الحديث ١٥١٦-١٩١٦ ، (جامعة الموصل : ١٩٩١) ، ص٤٢ ؛ هيثم جمعة هلال ، السلطان محمد الفاتح ، (حلب : ٢٠٠٧) ، ص٧٦ .

(٨) طقوش ، المصدر السابق ، ص١٢١ ؛ هلال ، المصدر السابق ، ص٧٦ ؛ بتروسيان ، المصدر السابق ، ص١١٩ .

(٩) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقلهُ الى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، (بيروت: ٢٠٠٥) ، ص٤٤٣ ؛ طقوش ، المصدر السابق ، ص١٢١ .

(١٠) محمد فريدبك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق : إحسان حقي ، ط٩ (بيروت : ٢٠٠٣)، ص١٧٩ .

(١١) والجدير بالذكر ان اعطاء الاموال للانكشارية اصبح تقليدا يلتزم به كل سلطان يتولى سلطنة الدولة ويعطي مبلغا من المال للانكشارية حيث منذ عهد السلطان محمد الفاتح أصبح من العتاد أن يقوم كل سلطان جديد بتوزيع (نقود للانكشارية) لضمان ولائهم وبقيت هذه الحالة لمدة (٢٩٤) عاما عندما نجح السطان عبد الحميد الاول (١٧٧٤-١٧٨٩م) من الغاء هذا التقليد . ينظر : احمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني ، ط٣ ، (القاهرة : ٢٠٠٣) ، ص١٢٥ ؛ بروكلمان ، المصدر السابق ، ص٤٤٣؛ عدنان العطار ، الدولة العثمانية من الميلاد الى السقوط ، (بيروت : ٢٠٠٦) ، ص٥٣ .

(١٢) بيتروسيان ، المصدر السابق ، ص١٢١ ؛ طقوش ، المصدر السابق ، ص٢٤٩ ؛ المحامي ، المصدر السابق ، ص١٧٩ .

(١٣) الشناوي ، المصدر السابق ، ص٥٠٤ .

(١٤) راغب السرجاني ، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي ، ج٢ ، ط٧ ، (القاهرة : ٢٠٠٧) ، ص١٥٦ ؛ طقوش ، المصدر السابق ، ص١٢٧ ؛

Stamford shaw, History of the ottoman Empiread modern Turkey, Vol. 1, (Newyork: 1976) p. 78.

(١٥) بيتروسيان ، المصدر السابق ، ص ص١٢٤-١٢٥ .

(١٦) المحامي ، المصدر السابق ، ص١٨٧ .

(١٧) المصدر نفسه والصفحة .

(١٨) الشناوي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٥٠٨ .

(١٩) وهي تقع الى الجنوب من ادرنة في اليونان على الحدود التركية ، ينظر : المحامي ، المصدر السابق ، ص١٨٧ .

(٢٠) بيتروسيان ، المصدر السابق ، ص ص١٢٦-١٢٧ .

(٢١) يوسف بك آصاف ، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن ، تقديم محمد زينهم محمد عزب ، (القاهرة : ١٩٩٥) ، ص٥٥ .

(٢٢) مصطفى ، المصدر السابق ، ص٧٩ ؛

Shaw, op. cit, Vol, 1, pp. 79-80.

(٢٣) الشناوي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٥٠٩ .

(٢٤) ارسلان ، المصدر السابق ، ص١٣٤ .

(٢٥) وهي إحدى العملات التي كانت تستخدم في الدولة العثمانية وقد أقبل التجار وأغلبية الشعب على تداولها وذلك لأنها كانت تمتاز بوزنها الثابت والتي تعادل ٢٤ قيراطاً وقد كانت تسمى بالدوكا البندقي نسبة الى مدينة البندقية التي تضرب فيها هذهِ النقود . ينظر : الشناوي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٥٠٩ ؛ شوكت باموك ، التاريخ المالي للدولة العثمانية ، تعريب عبد اللطيف الحارس ، (بيروت : ٢٠٠٥) ، ص٣٤ .

(٢٦) الشناوي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٥٠٩ .

(٢٧) الجميل ، المصدر السابق ، ص٦٤ ؛ طقوش ، المصدر السابق ، ص٢٤٩ .

(٢٨) فاضل بيات ، الدولة العثمانية في المجال العربي ، (بيروت : ٢٠٠٧) ، ص٢٤٦ ؛ اكمل الدين إحسان اوغلي ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، ترجمة صالح سعداوي ، ج١ ، (استانبول : ١٩٩٩) ، ص٣١ ؛ الجميل ، المصدر السابق ، ص ص٦٤-٦٥ .

(٢٩) بيتروسيان ، المصدر السابق ، ص١٢٩ .

(٣٠) هارولدلامب ، سليمان القانوني ، ترجمة شكري محمود نديم ، (بغداد : ١٩٦١) ، ص١٠١ .

(٣١) طقوش ، المصدر السابق ، ص٢٥٠ .

(٣٢) المحامي ، المصدر السابق ، ص٢٠٨ .

(٣٣) طقوش ، المصدر السابق ، ص٢٥٠ .

(٣٤) آرسلان ، المصدر السابق ، ص١٨٩ ؛ بيتروسيان ، المصدر السابق ، ص ص١٦٥-١٦٦ .

(٣٥) علي محمد محمد الصلابي ، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، (القاهرة : ٢٠٠٤) ، ص٣٤٨ ؛ فاطمة محمود الجوابرة ، موسوعة الخلفاء –الفاطميون– العثمانيون ، ج٢ ، (عمان : ٢٠٠٤) ، ص٢٣٩ ؛ السرجاني ، المصدر السابق ، ص١٧١ ؛ العطار ، المصدر السابق ، ص٧٣ .

(٣٦) باموك ، المصدر السابق ، ص٢٦٣ ؛ بلقاسم القروي الشابي ، الفتوحات الإسلامية بأوربا والردود المسيحية ، (تونس : ١٩٩٧) ، ص١٣٧ .

(٣٧) المصدر نفسهُ والصفحة .

(٣٨) نسيبة عبد العزيز عبد الله الحاج علاوي ، الاتجاهات الإصلاحية في الدولة العثمانية ١٦٢٣-١٧٨٩ ، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٦ ، ص٨٦ .

(٣٩) باموك ، المصدر السابق ، ص٢٦٣ .

(٤٠) محمود علي عامر، الدولة العثمانية تاريخ ووثائق ، (دمشق : ٢٠٠١) ، ص ص١٦٠-١٦١ ؛ علاوي، المصدر السابق ، ص٨٦ .

(٤١) طقوش ، المصدر السابق ، ص٢٥١ .

(٤٢) علاوي ، المصدر السابق ، ص٨٦ ؛ العطار ، المصدر السابق ، ص٨٥ ؛

Mustafa Ozden “yenicerilik isyanlari ve Vaka-I Hayriye”, Turk Dunyasi Tarih Dergisi, Sayi, 109, Ocak, 1996. ss 36-37.

(٤٣) سيد مصطفى ، نقد حالة الفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية ١٨٠٣م ، تحقيق : خالد زيادة ، (بيروت : ١٩٧٩) ، ص١٢ ؛ الجوابرة ، المصدر السابق ، ص٢٥٣ .

(٤٤) أرسلان ، المصدر السابق ، ص٢١٦ .

(٤٥) عامر ، المصدر السابق ، ص١٦١ ؛ عماد عبد العزيز يوسف وماهر حامد جاسم ، "دور شيوخ الإسلام في اتخاذ القرار في الدولة العثمانية" ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، ع٢ ، مج٦ ، (الموصل) ، ٢٠٠٧ ، ص٣٣٠ ؛ دونالدكواترت ، الدولة العثمانية ١٧٠٠-١٩٢٢ ، تعريب : أيمن الارمنازي ، (الرياض : ٢٠٠٤) ، ص١٨٦ .

(٤٦) آرسلان ، المصدر السابق ، ص٢١٦ .

(٤٧) وهو المصطلح الذي أطلقهُ المؤرخون على الأحداث التي قامت ضد السلطان عثمان الثاني (١٦١٨-١٦٢٢م) والتي أدت الى قتلهِ مع الصدر الأعظم ولاور باشا الذي كان مواليا لهُ . ينظر : إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية المعرف بـ كتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، (القاهرة: ٢٠٠٤) ، ص ص١٧٩-١٨٠ ؛ يوسف وجاسم ، المصدر السابق ، ص٣٤٠ .

(٤٨) مصطفى ، المصدر السابق ، ص١٥١ ، يلمازاوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة عدنان محمود سلمان ، مج١ ، (استانبول: ١٩٨٨) ، ص٤٧٠ ؛ آرسلان ، المصدر السابق ، ص٢١٧ ؛ علاوي ، المصدر السابق ، ص٨٨ .

(٤٩) علي حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ط٤ (بيروت : ٢٠٠٢) ، ص١٣٥ .

(٥٠) شاكر أفندي الحنبلي ، تلخيص التاريخ العثماني المصور ، (د.م : د.ت) ، ص٧٥ ؛ علي سلطان ، تاريخ الدولة العثمانية ، (دمشق : ١٩٩١) ، ص٢١٣ .

(٥١) ارسلان ، المصدر السابق ، ص ص٢١٩-٢٢٠ ؛

Edward s, Creasy, History of the Ottoman Turks from the Beginning of their Empire to the present time, (London: 1878), pp. 248-249.

(٥٢) ثريافاروقي ، الدولة العثمانية والعالم المحيط بها ، ترجمة حاتم الطحاوي ، (بيروت : ٢٠٠٨) ، ص١١١ ؛ أرسلان ، المصدر السابق ، ص٢٢٠ .

(٥٣) سلطان ، المصدر السابق ، ص٢١٨ ؛ يوسف وجاسم ، المصدر السابق ، ص٣٣١ .

(٥٤) محمود شاكر ، الخلفاء العثمانيون (٩٢٣-١٣٤٢هـ) ، (بيروت : ٢٠٠٣) ، ص١٩٢ ؛ حليم ، المصدر السابق ، ص٢٠١ ؛ المحامي ، المصدر السابق ، ص٨٨ ؛ اصاف ، المصدر السابق ، ص ص٨٧-٨٨ .

(٥٥) يوسف وجاسم ، المصدر السابق ، ص٣٣١ ؛ حليم ، المصدر السابق ، ص٢٠١ .